

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من مزايا الأحوال الثقافية لأواخر العصر المملوكي ظهور عدد كبير من المؤرخين المتميزين الذين لم يقتصر عملهم على التصنيف بل تعدى ذلك الى معالجة عدد كبير من القضايا التاريخية والاجتماعية، ففي هذا العصر عاش في القاهرة ودمشق ابن خلدون ، وفيه عاش المقرئزي مؤرخ مصر الاسلامية.

والمقرئزي هو: تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي ، ولد في القاهرة سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٥ م منحدرًا من أسرة كانت تنتمي بالأصل الى بلدة بعلبك ، قيل انها كانت تقطن في حي من أحياء بعلبك عرف باسم حي المقارزة ، زالت الآن معالمه ، ولم يعد أحد يعرفه.

نشأ المقرئزي في كنف جده لأمه، وعرف بابن الصائغ، وكان من فقهاء الحنفية ، لهذا تأثر الحفيد بالجده، فكان حنفيا حتى غدا شابا فتحول الى المذهب الشافعي.

حصل المقرئزي على ثقافة عالية ، والتحق بعدد من الوظائف السامية، كما قام بزيارة عدد من بلدان المشرق العربي خاصة : دمشق ومكة، حيث أقام .في كل منهما فترة طويلة، وقد انتهت حياته في القاهرة عام ٨٤٥هـ / ١٤٤١م.

كان المقرئزي غزير الانتاج، وخاصة في ميادين التاريخ، وقد عاصر ابن خلدون وتأثر به كثيراً أثناء اقامته في القاهرة، وقامت بينهما وشائج

من القريبى، ويمكن تصنيف نتاج المقريزي الى قسمين: المؤلفات الكبيرة والرسائل الصغيرة، وقد أوقف مؤلفاته الكبيرة إما على موضوع من مواضيع التاريخ الاسلامي العام، أو تاريخ مصر الاسلامية السياسي والعمراني، عبر عدة مراحل، أولها منذ الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية، وثانيها تاريخ لهذه الخلافة حتى سقوطها، وثالثها منذ نهاية العصر الفاطمي حتى أيامه.

وعالج المقريزي في الرسائل الصغيرة عدد أ من القضايا الهامة جداً، وتظهر في هذه الرسائل أصالة المقريزي وعبقريته العظيمة، وصورة المقريزي في رسائله هي في كثير من الأحيان معاكسة لصورته في مؤلفاته الكبيرة، حيث أنه في غالبية هذه المؤلفات الكبيرة هو كحاطب ليل يغير على مصنفات الذين تقدموه فينقل عنها ما شاء له الحظ أن يفعل دون الاشارة الى مصادره، وهنا اذا حدث وورد ذكر مصدر من المصادر في نص من كتب المقريزي، فهو في الغالب مصدر اعتمده صاحب الكتاب الذي أغار عليه المقريزي دون ان يسميه.

وعلى الرغم من هذا فان كتب المقريزي على اختلاف أحجامها على درجة عالية من الأهمية، لأن جل المصادر التي اعتمدها هي محجوبة عنا الآن وتعد بحكم المفقود.

لقد تجمع عند المقريزي مادة تاريخية عملاقة، أراد في أواخر أيامه تصنيفها في كتاب تاريخ كبير يؤرخ به لمصر وللوفدين اليها، يجعله في ثمانين مجلده كبيرة مثل تاريخ دمشق لابن عساكر وقد لحق المقريزي بربه قبل أن يتاح له اكمال مشروعه الكبير هذا، الذي بوب مواده حسب حروف المعجم، وقد قيل انه كتب منه ست عشرة مجلدة قبل ان يتوفى.

لاندرى مدى صحة هذه الرواية ، وفي الوقت نفسه لانعرف حجم المجلدة لدى المقرئزى ، والذي أعرفه الآن هو أنني وقفت على خمس مجلدات من هذا الكتاب لدى مصورة عنها جميعاً، أربع منها بخط المقرئزى ، وهذه المجلدات واحد منها محفوظ الآن في مكتبة برتو باشا في استانبول ، ويضم جل الأول وربما بعض الثاني ، وهذا المجلد كبير جداً، نسخه صاحبه - كما صرح - عن نسخة بخط المقرئزى ، أما بقية المجلدات فأحدها في باريس، وثلاثة في ليدن في هولندا، واستخرجت من المجلدات مواد عن الفاطميين، وعن القرامطة وعن العباسيين، والآن استخرجت ما تعلق بعصر الحروب الصليبية.

وكما سلف بي القول ، أوقف المقرئزى كتابه « اتعاظ الحنفا » على التأريخ للخلافة الفاطمية، وعدّ هذا الكتاب فيما مضى ومازال يعدّ أفضل مصادر التاريخ الفاطمي وأكثرها حيادية، وأثار هذا الكتاب جدلاً حول المقرئزى وميوله المذهبية، عالجه أكثر من باحث، بينهم المرحومان : الدكتور جمال الدين الشيال ، والدكتور محمد مصطفى زيادة.

وقد تم التعرف أولاً الى هذا الكتاب عبر نسخة خطية ناقصة عشر عليها في مكتبة غوطا الألمانية ، ونشرت هذه القطعة أولاً سنة ١٩٠٩ بعناية المستشرق الألماني هوجربونز، وقد أعاد المرحوم الشيال نشر هذه القطعة ثانية بعناية أكبر سنة ١٩٤٨ في القاهرة.

وبعد هذا بوقت قصير تم التعرف الى نسخة كاملة من الكتاب تقع في مائة وسبعون ورقة ، وهي محفوظة الآن في مكتبة أحمد الثالث في استانبول .

واهتم المرحوم الدكتور الشيال مجدداً بالكتاب ، واستطاع قبل

وفاته نشر قسم من الكتاب عام ١٩٦٧ في القاهرة، وبعد وفاته بأمَد  
أكمل نشر الكتاب فجاء في ثلاثة أقسام.

ومن المحزن حقاً أن الذين عملوا في نشر هذا الكتاب شروعاً من  
المرحوم الدكتور الشيال أخفقوا في قراءة نصه، لهذا جاءت الطبعة  
محشوة بالتصحيفات. وقد تمكنت من التمييز بين التصحيفات  
والأخطاء المطبعية، فبعض التصحيفات جاء مع سبق الإصرار حيث  
وضع الصواب بالحاشية واستبدل بالخطأ بالمتن، ويخيل لي أن الذين  
دونت أسماءهم كمحققين للكتاب لم يتولوا ذلك، بل كلفوا طلابهم  
بالعمل، ولم يقوموا حتى بالمقابلة والمراجعة.

لقد أعدت الآن تحقيق الثلث الأخير من اتعاظ الحنفا، وبنيتي  
تحقيق الكتاب ونشره بأكمله انشاء الله تعالى وأعان.

وكانت مكتبة المقرئ غنية، ومصادره ثمينة، من ذلك « أخبار  
مصر » لابن ميسر تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب  
راغب المتوفى سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م، وفي المكتبة الوطنية بباريس  
مخطوط رقمه « ١٦٨٨ عربي » يتكون من ٩٤ ورقة يحتوي على  
مختصر الجزء الثاني من كتاب « أخبار مصر » والذي تولى الاختصار  
هو المقرئ، وهذا الكتاب بالأصل من أهم مصادر المقرئ في  
اتعاظ الحنفا وغيره، وانتقيت مما انتقاه المقرئ المواد ذات العلاقة  
بالحروب الصليبية فضبطتها وحققتها مثل بقية مواد المقرئ.

- ١١٤٨٢ -

والحمد لله تعالى ومنه جل وعلا استمد العون وأطلب السداد  
والتوفيق ، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وعلى آله وصحبه  
أجمعين.

دمشق ١٤ - جمادى الأولى ١٤١٦ هـ

١٩٩٥/١٠/٨ م

سهيل زكار